ينبغي ان ننسى انه اصبح الآن أقل اهتماما بالصلاة ، فبتأثير من زوجته المسلمة كان يحارب اكثر ويصلي أقل . ومع ذلك كان عليه أن يقاتل في سبيل الله حتى عندما كان خصومه من ابناء دينه المسيحيين ومن هنا أتت بدون شك هجماته على اليهود . ولكن كان من الصعب عليه أن يخفي ما كانت تحمله هذه الحرب من كفر وزندقة لانها كانت حرب عدوان . حرب انتقام شخصي يكمن فيها الغيظ والكيد . كانت بولوتسك مدينة حصينة جداً وفتحها كان يؤمن للقيصر امتلاك ليتوانيا كلها لذلك كان سعيدا لانه اظهر لسيجسموند اوغست انه أكبر وأقوى سطوة منه . ومع ذلك كان بامكان ملك بولونيا أن يحصل على الصلح بشرط ان يتخلى عن كل ليفونيا ويسلم كاترين . « ولكن متزوجة من دوق فنلندا ! » ، « وماذا يهمنا في ذلك ؟ » فالقيصر سيحتفظ بها رهينة ويولي شخصها اعظم احترام .

وعندما راى الجيش الذي احتل بولوتسك ضعف ما واجهه من مقاومة قام يجتاح البلاد مهددا مدن فيلنا وموتيسلاف ومدمرا المزارع والقرى وجامعا كمية كبيرة من الغنائم . وعلى الرغم من ان سيجسموند اوغست كان من خير الملوك الذين حكموا بولونيا كما تدل على ذلك سمعته لا انه لم يكن ملكا محاربا . ولم يكن على راس جيش يمكنه تصفية حساباته الشخصية مع القيصر المتعجرف . وقد سمع انهم أتوا معهم الى بولوتسك بتابوت فاخر صنعوه في موسكو ليكون مسكنا له اذا وافق هواه ، فقرر الابتعاد ما أمكنه عن هذا التابوت . كان خائفا جدا . لذلك أرسل برسالة الى خان القرم ينصحه فيها بالافادة من الفرصة وقيادة التتر الى موسكو التي غدت بدون دفاع ، وهو عرض عجيب من ملك مسيحي يقدم الى وثني(*) وقد وعده الخان ، ولكن كان من الصعب عليه أن يقود فرسانه القساة عبر المروج المغطاه بالثلوج

(*) لم يكن خان القرم وثنيا بل كان مسلما ولكن المؤرخ استعمل مفاهيم ذلك العصر .
— المترجم —